وأمر رسوله لخَذَلنا ولعاقَبنا، فاضطرمت[١] المدينة ناراً. انتهى.

اهتمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه
لقتال أهل الرِّدَّة ومانعي الزكاة
مشاورة أبي بكر المهاجرين والأنصار في
القتال وخطبته في هذا الشأن

أخرج الخطيب في رواة مالك عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما قُبض النبيﷺ اشرأبَّ النفاق بالمدينة، وارتدَّ العرب وأرعدت[٢] العجم، وأبرقت[٣] وتواعدوا نهاوند، وقالوا: قد مات هذا الرجل الذي كانت العرب تُنصَرُ به. فجمع أبو بكر رضي الله عنه المهاجرين والأنصار وقال: إنَّ هذه العرب قد منعوا شاتهم وبعيرهم ورجعوا عن دينهم، وإنَّ هذه العجم قد تواعدوا نهاوند ليجمعوا لقتالكم، وزعموا أنَّ هذا الرجل الذي كنتم تُنصرون به قد مات، فأشيروا عَلَيَّ فما أنا إلا رجلٌ منكم، وإنِّي أثقلكم حِملاً لهذه البلية. فأطرقوا[٤] طويلاً، ثم تكلَّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أرَى ـ والله ـ يا خليفة رسول الله أن تقبلَ من العرب الصَّلاة وتدعَ لهم الزكاة، فإنَّهم حديثوا عهد بجاهلية لم يَمَسَّهم الإسلام، فإما أنْ يردُّهم الله إلى خير، وإما أنْ يُعِزَّ اللَّهُ الإسلام فنقوى على قتالهم، فما لبقية المهاجرين والأنصار يَدان للعرب والعجم قاطبة. فالتفت إلى عثمان رضي الله عنه فقال مثل ذلك، وقال عليّ رضي الله عنه مثل ذلك، وتابعهم المهاجرون. ثم التفت إلى الأنصار فتابعوهم. فلما رأى ذلك صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإنَّ الله بعث محمداً ﷺ والحقُّ قَلُّ شَرِيدٌ، والإسلام غريبٌ طريدٌ، قد رَثَّ[٥] حَبْلُهُ، وقلَّ أهلُهُ، فجمعهم الله بمحمد ﷺ، وجعلهم الأمة الباقية الوُسْطى، والله لا أبرحُ أقُومُ بأمر الله وأجاهد في سبيل الله حتى يُنْجِزَ الله لنا وعده[٦] ويفي لنا عهده، فيقتل من قُتل منّا شهيداً في الجنة، ويبقى من بقي منا خليفة الله في أرضه ووارث عباده. قضى الله

---

(١) اضطرمت: اشتعلت.

(٢) في الأصل «ارتدت» والصواب «أرعدت» كما هو الظاهر حيث لم يكن إسلام في العجم في هذا الوقت.

(٣) أبرقت: تهددت وأوعدت.

(٤) أطرق: سكت فلم يتكلم.

(٥) رث: أي ضعف.

(٦) في الأصل «حتى ينجز الله لنا ويفي» والصواب ما أثبتنا.

الحقّ؛ فإنّ الله تعالى قال ـ وليس لقوله خُلْف ـ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾[1] والله لو منعوني عِقالاً ممّا كانوا يُعطون رسول الله ﷺ، ثم أقبل معهم الشجر والمَدَر والجنُّ والإنس لجاهدتهم حتى تلحق روحي بالله!! إنّ الله لم يفرّق بين الصّلاة والزكاة ثم جمعهما. فكبّر عمر وقال: واللّهِ قد علمت ـ والله حين عزم الله لأبي بكر على قتالهم ـ أنّه الحق. كذا في كنز العمال (٣/ ١٤٢).

وأخرج ابن عساكر عن صالح بن كَيْسان قال: لما كانت الردّة قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «الحمدُ لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إن الله بَعث محمداً ﷺ شريد[2]، والإسلامُ غَريبٌ (طريد)[3]، قد رثّ حبلُه، وخَلَق عهدُه، وضلّ أهله عنه، ومقت[4] الله أهل الكتاب فلم يعطهم خيراً لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، وقد غيّروا كتابهم، وألحقوا فيه ما ليس فيه، والعرب الأمّيون صِفْر[5] من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، أجهدُهم عيشاً، وأضلُّهم ديناً، في ظَلَف[6] من الأرض، معه فئة الصحابة؛ فجمعهم الله بمحمد ﷺ وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتبعهم ونصرهم على غيرهم حتى قبض الله نبيه ﷺ. فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله الله عنه، وأخذ بأيديهم وبقي مُلْكهم[7]، ﴿وَمَا مُحمدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ؛ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ على أَعْقَابِكُمْ، وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شيئاً، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[8]، إنّ مَنْ حولكم من العرب منعوا شانَهُمْ وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم؛ ـ وإن رجعوا إليه ـ أزهدَ منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا على ما فقدتم من بركة نبيكم ﷺ. ولقد وَكَلَكُم إلى الكافي الأول الذي وجده ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه، وكنتم على شَفَا حُفرة من النار فأنقذكم منها، والله لا أدعُ أن أقاتل على أمر الله حتى يُنْجِزَ اللّهُ وعده، ويُوفيَ لنا عهده؛ ويُقْتَلُ من قُتل شهيداً من أهل الجنة، ويبقى من بقي منا

(١) [٢٤/ سورة النور/ ٥٥].
(٢) شريد: أي لا مأوى له.
(٣) هذه الزيادة من «البداية» والمعنى: مطروداً.
(٤) مقتهم: أبغضهم أشد البغض.
(٥) صفر: أي خالون من عبادة الله.
(٦) الظلف: الغليظ الصلب من الأرض ممّا لا يبين فيه أثر.
(٧) أي أراد هلاكهم.
(٨) [٣/ سورة آل عمران/ ١٤٤].

خليفته وارثه في أرضه، قضى الله الحق؛ وقوله الذي ـ لا خُلف فيه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾[1]، ثم نزل. قال ابن كثير: فيه انقطاع بين صالح بن كَيْسان والصدِّيق، لكنه يشهد لنفسه بالصِّحَّة لجزالة ألفاظه وكثرة ما له من الشواهد. كذا في الكنز (٣/ ١٤٢). وقد ذكره في البداية (٦/ ٣١١) عن ابن عساكر بنحوه.

إنكار أبي بكر رضي الله عنه على من توقف أو أراد الإمهال في القتال

وأخرج العدنيّ عن عمر رضي الله عنه قال: لما اجتمع رأي المهاجرين ـ وأنا فيهم ـ حين ارتدّت العرب، فقلنا: يا خليفة رسول الله، اترك الناس يُصَلُّون ولا يؤدّون الزكاة، فإنهم لو قد دخل الإيمان في قلوبهم لأقرّوا بها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لأنْ أقَعَ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أترك شيئاً قاتل عليه رسولُ الله ﷺ إلاّ أقاتل عليه. فقاتل العرب حتى رجعوا إلى الإسلام، فقال عمر: والذي نفسي بيده، لذلك اليوم خير من آل عمر[2]. كذا في الكنز (٣/ ١٤١).

وعند الإسماعيليّ عن عمر رضي الله عنه قال: لما قُبض رسول الله ﷺ ارتدّ من ارتدّ من العرب، وقالوا: نصلّي ولا نزكّي. فأتيت أبا بكر رضي الله عنه، فقلت: يا خليفة رسول الله، تألّفِ الناس وارفِق بهم، فإنهم بمنزلة الوحش. فقال: رجوتْ نُصْرَتَكَ[3]، وجئتني بخذلانك!! جباراً في الجاهلية، خَوّاراً[4] في الإسلام؟ ماذا عسيت أن أتألّفهم؟! بشعرٍ مفتعل[5]، أو بِسِحْرٍ مفترى؟! هيهات، هيهات!! مضى النبيُّ ﷺ وانقطع الوحي، والله لأجاهِدَنَّهُمْ ما اسْتَمْسَكَ السيفُ في يدي وإنْ منعوني عقالاً. قال عمر رضي الله عنه: فوجدته في ذلك أمضى مني وأعزم مني، وأدَّب[6] الناس على أمور هان عليَّ كثير من مؤونتهم حين وُلِّيتُهم. كذا في الكنز (٣/ ٣٠٠).

وأخرج الدِينَوري في المجالسة، وأبو الحسن بن بِشْران في فوائده، والبيهقي في

---

(١) [٢٤/ سورة النور/ ٥٥].

(٢) أي من أعمال آل عمر.

(٣) في الأصل «آخرت نصرتك» أي أسلمتَ متأخراً والتصويب من «تاريخ الخلفاء».

(٤) خواراً: ضعيفاً.

(٥) أي بشعر مبتدع، أغرب فيه قائله.

(٦) في الأصل «آدب الناس» والتصويب من «تاريخ الخلفاء».

الدلائل، واللالكائي في السُّنَّة عن ضَبَّة بن المحصن العَنَزيّ[1] قال: **قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنتَ خيرٌ من أبي بكر؟ فبكى وقال: والله، لَلَيْلَةٌ من أبي بكر ويومٌ خير من عمر وآل عمر: هل لك أن أحدِّثَكَ بليلته ويومه؟ قلت: نعم، يا أمير المؤمنين. قال: أما ليلته: فلمّا خرج رسول الله ﷺ هارباً من أهل مكة، خرج ليلاً فتبعه أبو بكر** ـ فذكر الحديث في الهجرة كما تقدم (ص ٢٩٦)؛ قال: **وأما يومه: فلما تُوُفِّي رسولُ الله ﷺ وارتدّت العرب، فقال بعضهم: نصلّي ولا نزكّي، وقال بعضهم: لا نصلّي ولا نزكّي. فأتيته ـ ولا آلو نصحاً ـ، فقلتُ يا خليفة رسولِ الله تألَّفِ الناسَ** ـ فذكره بنحوه كما في منتخب كنز العمال (٤/ ٣٤٨).

وعند الإمام أحمد والشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **لما توفي رسولُ الله ﷺ وكان أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب قال عمر رضي الله عنه: يا أبا بكر، كيف تقاتلُ الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمِرتُ أَنْ أقاتِلَ النَّاسَ حتى يقولُوا: لا إلٰهَ إلا اللّٰهُ، فَمَنْ قال لا إلٰه إلاّ اللّٰهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلى اللّٰهِ»؟. قال أبو بكر رضي الله عنه: والله، لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاة حقّ المال. والله لو منعوني عقالاً كانوا يُؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه!! قال عمر: فوالله ما هو إلاّ أن رأيتُ أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفتُ أنه الحق.** وأخرجه أيضاً الأربعة إلا ابن ماجه، وابن حِبَّان، والبيهقي كما في الكنز (٣/ ٣٠١).

اهتمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بإرسال الجيوش في سبيل الله وترغيبه على الجهاد ومشاورته للصحابة في جهاد الروم ترغيب أبي بكر على الجهاد في سبيل الله في خطبة له

أخرج ابن عساكر (١/ ١٣٣) عن القاسم بن محمد ـ فذكر الحديث، وفيه: **وقام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيباً، فحمد الله وصلّى على رسول الله ﷺ، وقال: إنَّ لكلّ أمر جوامعَ، فمن بلغها فهو حَسْبه، ومن عمل لله عزّ وجلّ كفاه الله. عليكم بالجدّ والقصد، فإنَّ القصدَ أبلَغ. ألاَ إنّه لا دين لأحد لا إيمان له[2]، ولا أجر لمن لا حِسْبة له، ولا عمل**

(١) في الأصل «الغنوي» والصواب «العنزي» كما في «الخلاصة».
(٢) من «الكنز» و «الطبري»، وفي «ابن عساكر»: معه.